

بسم الله الرحمن الرحيم

درس تلفزيوني قناة سوريا - الدرس : 05 - ضعف الإنسان لا يقويه إلا معرفة الله

12-03-1993

أعزائي المؤمنين إخوتي المشاهدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فالإنسان مفطور على حب وجوده وحب سلامة وجوده وحب كمال وجوده وحب استمرار وجوده، وقد " خلق هلوغاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين " وهذا الضعف ركب فيه في أصل خلقه لصالحه، لقد خلق ضعيفاً ليفتقر إلى الله بسبب ضعفه، فيسعد بافتقاره، ولو خلقه قوياً لاستغنى عن الله بسبب قوته فشقي باستغنائه لذلك يبحث الإنسان - دائماً - عن جهة قوية يحتمي بها ويعتمد عليها ويلجأ إليها - وهذا أصل التدين في الفطرة الإنسانية - فإن وصل من خلال بحثه العفوي أو الواعي إلى الله خالق السماوات والأرض، والذي بيده ملكوت كل شيء، ومن إليه يرجع الأمر كله، فقد اهتدى وأفلح وسلم وسعد في الدنيا والآخرة، وإن توهم جهة أخرى لا تملك له نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا فقد ضل الطريق وأخطأ الهدف وشقي في الدنيا والآخرة ذلك لأن في القلب شعثاً لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفة الله، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه وقدره والصبر على ذلك إلى يوم لقائه، وفي القلب فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره والإخلاص له.

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الريح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره، ولا تهرب منه بنعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.

وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه، وأنت أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض، وفيما يبعدك عنه راغب.

والآن... كيف نعرفه؟ إن الكون بسماواته وأرضه وما بث فيهما من دابة مظهر لأسماء الله الحسنی وصفاته الفضلى، والتفكر في خلق السماوات والأرض سبيل إلى معرفته، ومعرفة منهجه سبيل إلى

عبادته

قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران)

قال تعالى:

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

(سورة السجدة)

القرآن يخاطب أناساً يعتمدون السنة القمرية، فالقمر يدور حول الأرض كلَّ شهر دورة، فلو قسمنا بُعد مركزه عن مركز الأرض أي نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، وحسبنا محيط هذه الدائرة بعد معرفة نصف قطرها، لعرفنا كم من الكيلو مترات يقطع القمر في دورته حول الأرض كلَّ شهر، لو أخذنا طول محيط هذه الدائرة، وضربناه باثني عشر شهراً، لعرفنا كم يقطع القمر من الكيلومترات في رحلته حول الأرض في عام، هذه الكيلو مترات التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في العام، لو ضربناها بألف، لعرفنا كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، هذا الرقم يساوي المسافة مقدرة بالكيلو مترات التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

(سورة السجدة)

فما يقطع القمر في ألف عام، يقطعه الضوء في يوم، بدليل أننا لو قسمنا ما يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام وهي المسافة على ثواني اليوم، وهي أربعة وعشرون ساعة ضرب ستين ضرب ستين وهي الزمن، لو قسمنا المسافة على الزمن لظهر معنا الرقم التالي وهو مئتان وتسع وتسعون ألفاً وسبعمئة واثنتان وخمسون كيلومتر ونصف وهذه النتيجة تتفق تماماً مع سرعة الضوء المعلنة دولياً طبقاً لبيان المؤتمر الدولي المنعقد في باريس وسرعة الضوء هي أهم قانون عرفته البشرية في القرن العشرين وهذه السرعة أعلى سرعة في الكون، فالشيء إذا سار بسرعة الضوء أصبح ضوءاً، وأصبحت كتلته صفراً، وحجمه لا نهائياً، وعندئذ يتوقف الزمن، فإذا سار الجسم أسرع من الضوء تراجع الزمن، فإذا قصر عن الضوء تراخى الزمن.

فالمسافة التي يقطعها القمرُ في مداره الخاص حول الأرض في ألف سنةٍ قمريةٍ تساوي المسافة التي يقطعها الضوءُ في يومٍ أرضي واحد وهذه هي النظرية النسبية التي يتبها الغرب بها هذا عن آيات الله في الأفاق !!! فماذا عن آياته في النفس ؟

يؤكد علماء نفس الطفل، أن الطفل حينما يولد لا يملك أية قدرة إدراكية، بل إن كل ما يتمتع به الراشد من إمكانات وقدرات، و مفهومات و معقولات، وخبرات ومؤهلات، إنما هي نتيجة تفاعله مع البيئة، وهذا فحوى الآية الكريمة:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(سورة النحل)

لكن منعكساً - على حدّ تعبير علماء النفس - يولد مع الطفل، ولا يحتاج إلى تعليم، إنه منعكس المص، إذ لولاه لما وجدت إنساناً واحداً على سطح الأرض في قاراتها الخمس، إن الطفل الذي يولد من توه لا يستطيع أن يتلقى توجيهات والده في ضرورة التقام ثدي أمه، وإحكام إطباقهما، ثم سحب الهواء، كي يأتيه الحليب، لا يستطيع أن يتلقى هذه التوجيهات بالفهم فضلاً عن التطبيق حليب الأم من آيات الله الكبرى الدالة على عظمتة فهو يتغيّر تركيبه خلال الرضعة الواحدة، يبدأ حليب الأم بماءٍ كثير، يقل الماء ويزداد الدسم، إلى أن تصبح المواد الدسمة في نهاية الرضعة أربعة أمثال هل بالإمكان أن تغذي طفلاً بضرورةٍ وتتغيّر نسب الدسم، والمواد السكرية والمواد البروتينية، في أثناء الرضعة الواحدة ؟

شيءٌ آخر.. تتغيّر تراكيب مقومات لبن الأم، بالكميات المعادلة لنمو الصغير، كلما نما الصغير الرضيع، تزداد الأحماض الأمينية، والأملاح المعدنية، والمعادن النادرة، والفيتامينات أما الشيء الذي يلفت النظر... فهو أن هذا الطفل الذي خلقه الله عزّ وجل، أودع فيه خمائر هاضمةً بمقادير تتناسب مع حليب الأم، فلو أرضعناه حليب البقر، ولو كان طازجاً، أو كان مجففاً، يعجز الطفل عن هضمه، وتبقى كمياتٌ كبيرة من المواد الدسمة والبروتينيات والأحماض الأمينية دون هضم، وطرح هذه المواد عن طريق الكلية يجهدا لذلك نجد الطفل الذي يرضع حليب البقر تجهد كلتيه في طرح المواد الدسمة، والأحماض الأمينية، والبروتينات التي لم يستطع هضمها، فخمائر الهضم عنده متوافقةً مع حليب الأم، وليست مع حليب البقر، في حليب البقر أربعة أمثال ما في حليب الأم من الأحماض الأمينية قال العلماء : ارتفاع نسبة الأحماض الأمينية في الدم تسبب للطفل الرضيع القصور العقلي، والآفات القلبية، والآفات الوعائية، وأمراض جهاز الهضم والكبد، الأمراض المزمنة التي تلازم الإنسان طوال حياته ولو سألت أطباء الأورام الخبيثة لأجابوك إن المرأة التي ترضع ابنها من ثديها أقلّ عرضةً للإصابة بورم الثدي من المرأة التي لا ترضع ابنها من ثديها.. أي أن نسب أورام الثدي الخبيثة في النساء اللواتي يرضعن

أولادهم قليلة جداً، أما نسب الأورام الخبيثة في النساء اللواتي لا يرضعن أولادهم نسباً عالية..
أيها الأخوة المشاهدون...

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه
فلا يستمتع به جامع في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه
والأنس به، وبدن معطل عن طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتنال أو امره، ووقت
معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع. وخدمة من لا تقربك خدمته إلى
الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك. وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته، ولا يملك
لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً